

الحوار

مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center

معايير لتمييز جماعات المعارضة السورية المسلحة

المتطرفة عن المعتدلة (موجهة لصناع القرار)

إعداد: د. محمد سالم

ورقة بحثية قدمت في الندوة الحوارية "نحو مقاربة نموذجية لمواجهة خطاب الغلو والتطرف في السياق السوري من خلال التجارب والدروس المستفادة" وذلك في مدينة استنبول، يوم السبت 22 ربيع الآخرة 1440هـ، الموافق لـ 29/12/2018م

المحتويات

2	مقدمة:
2	أولاً: في مفاهيم ومعاني الغلو والتطرف:
3	ثانياً: نطاق المعايير المطلوبة وسياقها:
4	ثالثاً: معايير قياس التطرف لتمييز جماعات المعارضة المعتدلة عن المتطرفة:
15	رابعاً: التحول النسبي نحو الاعتدال (دراسة حالة):
16	خامساً: ملامح تطرف لدى اتجاهات أخرى:
18	سادساً: الملحقات:
24	سابعاً: قائمة بأهم المراجع:

مقدمة:

تشهد معاني وتوصيفات التطرف والارهاب حالة من السيولة الشديدة والغموض (المتعمد منه أحياناً وغير المتعمد)، حيث كثيراً ما يتم تعميم تلك التوصيفات دون الرجوع إلى معايير واضحة يتم قياس مدى التطرف ودرجاته المختلفة على أساسها، وتبدو تلك الحالة أكثر وضوحاً في البلدان العربية والإسلامية، خاصة في ظل استمرار غياب الحريات وسيادة القانون، حيث تعتمد بعض السلطات تعميم وتوسعة مفاهيم التطرف والارهاب وإبقائها مفتوحة وقابلة للتفسير التعددي بهدف استخدامها ضد مختلف شرائح المعارضين.

في الحالة السورية، ارتكزت ادعاءات النظام على محاربة الارهاب والتطرف منذ الأيام الأولى للاحتجاجات السلمية، ثم استمر النظام مع حلفائه الروس واليرانيين بتسويق "البروباغندا" الاعلامية التي تصنف مختلف فصائل المعارضة باعتبارها فصائل إسلامية متطرفة إرهابية.

تهدف هذه الورقة إلى توضيح معاني التطرف و الغلو في السياق السوري دون اقتطاعه من السياق الاقليمي والدولي العام، ومحاولة وضع معايير واضحة ومحددة لتمييز الفصائل المتطرفة عن الفصائل المعتدلة في صفوف المعارضة السورية¹ من خلال تصنيفها وفقاً لتلك المعايير استقراءً من تجربة السنوات الماضية من عمر الثورة السورية، ثم تسليط الضوء على تحولات بعض الفصائل نحو الاعتدال، والتعرف على العوامل التي أسهمت في تلك التحولات، ودرجة الاعتدال الذي وصلت إليه، إضافة إلى محاولة استكشاف ملامح ردود الأفعال المتطرفة لدى التيارات الأخرى غير الإسلامية، والتي يمكن أن تسهم في تنشيط دورة حياة الغلو والتطرف من خلال تهيئة البيئة الحاضنة.

أولاً: في مفاهيم ومعاني الغلو والتطرف:

بعيداً عن الإطالة في تفصيل المصطلحات وتأصيلها لغوياً وسياسياً أو شرعياً، تتقارب معاني التطرف والغلو بشكل عام من حيث أنها خلاف التوسط والاعتدال المحمود والمطلوب، وبينما نجد استخداماً واضحاً لمصطلح "الغلو" في الشريعة الإسلامية²، لا نجد استخداماً لكلمة التطرف فيها بشكل واضح، فهو مصطلح حديث، ومفهومه نسبي يختلف اختلافاً كبيراً باختلاف الوضع السياسي زماناً ومكاناً، حيث تختلف تبعاً لها معايير الوسطية والاعتدال³، على عكس مفهوم الغلو الذي غالباً ما يمسّ أو يرتبط بالقضايا الدينية في الإسلام.

¹ سيأتي تحديد نطاق المعايير لاحقاً، وهنا لا بد من الإشارة، إلا أنها خاصة بحالة المعارضة السورية وصفوفها، ولكن ذلك لا يعني وجود كثير من التطرف، بل أشده عنفاً وإجراماً في الجماعات المؤيدة للنظام، سواء منها الميليشيات العابرة للحدود، كمختلف الميليشيات العراقية والبنانية الشيعية، أو حتى الميليشيات المحلية التي شاركت في عمليات القتل والتهجير ضد السكان المحليين من الحاضنة المؤيدة للمعارضة السورية، أو حتى من الميليشيات الانفصالية التي اتهمت بعمليات مماثلة، وهو يحتاج بحثاً خاصاً.

² ورد المصطلح في القرآن عدة مرات كقوله تعالى في سورة النساء "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ"، وفي السنة النبوية يقول صلى الله عليه وسلم "إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" رواه ابن ماجه.

³ يسهب د. عزمي بشارة في بحث له في توضيح المعاني السائدة للتطرف في الوقت الحالي من خلال سرد البعد التاريخي للمصطلح، ويؤكد على "أن التصنيف قد فقد الكثير من شرعيته في منعطفات تاريخية عدة من خلال استبعاد تصنيف الدول بالتطرف والارهاب، واقتصار المفهوم على الجماعات والتنظيمات، فالدولة لا تصبح متطرفة ولو قامت بقتل المدنيين في فيتنام والعراق و غزة ولبنان، فالدولة القادرة على القصف من الجو هي التي تصنف الأخر اراهيباً ومتطرفاً" - بحكم الواقع - "ويخرج بالتالي من هذا الحقل الدلالي للتطرف (وصنيعته الارهاب) الجيوش التي تقوم بتدمير واسع وأعمال قتل جماعي ضد المدنيين بحجة انها لا تستهدف المدنيين، بل الخصم الذي يسكن بين المدنيين، ويتخذ منهم دروعاً بشرية"، وهنا لا بد من التأكيد على أن التعريف بهذا الشكل، والتركيز على تجريم الجماعات دون الدول هو أحد مسببات التطرف، حيث تستند بروباغندا "الجهاديين" بشكل

فالغلو كما عرفه عدد من علماء الشريعة الإسلامية، هو "المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد"، أو "مجاوزة الحد في أن يزداد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك"⁴، وهو ينطبق بشكل واضح - في سياق مرتبط فيما نبحت فيه - على حالة تاريخية معروفة في الإسلام، وهي حالة "الخوارج" المغالين في التكفير، ليلتقي هذا المفهوم الديني الشرعي الأصل مع المفهوم السياسي "التطرف" في ظروف سياسية معينة مؤخراً، رافقت تحول بعض جماعات الغلو نحو "الجهاد العالمي"، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول في العام 2001، ليتم الحديث بعدها عن التطرف الإسلامي، والتطرف الإسلامي العنيف الذي يتداخل مع معاني الإرهاب، والذي يعني القيام بتنفيذ أعمال مادية محسوسة عنيفة انطلاقاً من معتقدات فكرية متطرفة⁵، وفي حالة التطرف الإسلامي العنيف، فيعني الإرهاب بالتالي القيام بالأعمال العنيفة من أطراف معينة وفق دوافع مبنية على ما يعتبر "معتقدات دينية إسلامية متطرفة"⁶، وهي - المعتقدات المتطرفة - قضايا خلافية وذات سيولة، ومحل جدل كبير عموماً بسبب تسييسها من قبل الأنظمة والحكومات، حيث فقدت الكثير من المرجعيات الشرعية الإسلامية المعتبرة استقلاليتها وتأثيرها وشرعيتها لدى العديد من الشرائح بسبب المحاولات الناجحة للكثير من أنظمة الحكم التدخل في عملها لتجيئها لتعزيز شرعية السلطة الحاكمة⁷.

ثانياً: نطاق المعايير المطلوبة وسياقها:

الهدف الأساسي للورقة هو محاولة وضع معايير لتمييز جماعات المعارضة السورية المسلحة المعتدلة عن المتطرفة، وذلك من خلال استقراء التجربة السورية منذ انطلاقة الثورة السورية حتى تاريخه⁸، والمخاطبون بهذه المعايير هم صناعات القرار⁹

كبير إلى هذه الجزئية، ويلاحظ ذلك واضحاً في خطابات "بن لادن" بعد عمليات الحادي عشر من أيلول وتنفيذ التحالف لعملية عسكرية كبيرة على أفغانستان، ثم يضع بشاراً تعريفاً استنتاجياً للتطرف بمعناه السياسي وفق التالي: "المتطرف هو ذلك الذي يرفض التسويات التي تُمكن من العيش المشترك، والذي يعلم أن رفضه هذا قد يؤدي إلى حرب أهلية"، ولاشك أن هذا التعريف ينطبق مثلاً بشكل واضح على نظام الأسد، في حين أن المجتمع الدولي، ورغم معرفته بمستويات جرائم النظام الغير مسبوقة، فهو لا يشمل بتوصيف التطرف باعتباره - فيما يبدو - جزءاً من الدولة، المفهوم الذي تحدثنا عنه أعلاه، كما لا يشمل تصنيف التطرف بشكل واضح الميليشيات العابرة للحدود التي ساندت النظام السوري، ينظر: عزمي بشاره، "في ما يسمى التطرف"، سياسات عربية، دورية محكمة تعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية والسياسات العامة، العدد 14 ايار 2015.

حيث تركز القرارات الأممية على تصنيف تنظيم "داعش" وجبهة النصرة بشكل أساسي، ولا يساعد هذا بالتأكيد على مواجهه التطرف لوجود هذه المعايير المختلفة وغير الدقيقة.

⁴ هما تعريفان لابن حجر العسقلاني وابن تيمية على التوالي، ينظر "الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحي".

⁵ "في ما يسمى التطرف"، عزمي بشاره، المرجع السابق.

⁶ "في ما يسمى التطرف"، عزمي بشاره، المرجع السابق.

⁷ ولعل ذلك من جملة آثار قيام الدولة الحديثة وتغولها على مؤسسات المجتمع، ومنها المؤسسة الدينية، حيث "فقد الشرع تدريجياً شيئاً من استقلالته التي حافظ عليها في ظل النظام الكلاسيكي الذي كان العلماء فيه مستقلين ما لم يتقلدوا منصباً قضائياً"، أنظر كتاب "سقوط الدولة الإسلامية ونهوضها"، نوح فيلدمان، ص 89، وازداد هذا الأمر سوءاً في ظل الأنظمة الأكثر دكتاتورية، كما كان الحال في نظام عبد الناصر، الذي قام بتأميم الكثير من الموارد، بما فيها الأوقاف التابعة للأزهر، مما قلص من استقلالته ومرجعته في مصر، ترافق ذلك مع التعذيب في السجون الذي أدى إلى إفراز أولى حالات الغلو وامتدادها إلى الأقطار الأخرى كما هو معروف، وتمتلى كتب العلماء المسلمين بالتحذير من الدخول على السلاطين خشية فقدانهم للاستقلالية والمرجعية في نظر الناس، يمكن الاطلاع أكثر حول تسييس الأزهر في:

Al-Azhar: beyond the politics of state patronage, RASHIED OMAR, University of Notre Dame.

⁸ خلال السنوات السابقة للثورة السورية، ظهرت العديد من الفصائل التي انتمت إلى قوى الثورة والمعارضة، والكثير منها تبنى ادبيات معينة، ودخل في تحالفات ومارس العمل السياسي، والمقصود بالتالي أن وضع المعايير تم بناء على المراقبة والمتابعة والتحليل والاستقراء والدراسة لمختلف تلك الفصائل خلال السنوات الماضية.

⁹ والمقصود بهم كل من يحتاج إلى معلومات لاتخاذ قرارات معينة بناء عليها من الفاعلين الحكوميين أو غير الحكوميين من أصحاب المصالح في المناطق المختلفة التي يمكن أن تنشط فيها الجماعات محل البحث، كمسؤولي المنظمات الإنسانية أو منظمات المجتمع الدولي المحلية أو الدولية، والمسؤولين السياسيين أو العسكريين لكيانات المعارضة السورية، ومن يشابههم ممن يهيمه الأمر من المؤسسات الإقليمية والدولية.

على المستويات المحلية والاقليمية والدولية عموماً، وبالتالي، لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار البناء على أرضية مشتركة مع أصحاب المصلحة¹⁰ عموماً، واعتماد مبادئ ومعايير مناسبة لصناع القرار، ونظراً لاختلاف صناع القرار المذكورين أنفسهم على تلك المبادئ والمعايير على المستوى الاقليمي والدولي، يؤخذ بعين الاعتبار انتماء العديد من جماعات المعارضة المسلحة إلى قوى الثورة والمعارضة السورية، والتي اكتسبت شرعية سياسية نسبية في المحافل الدولية كطرف مفاوض ذو أهمية في تحديد مصير سورية، وبالتالي، لا تدخل في الاعتبار معايير ومبادئ صناع القرار الذين يعتمون توصيفات التطرف والإرهاب على جماعات المعارضة السورية لدى محاولة وضع المعايير.

ويمكن إجمال محددات المعايير المطلوبة لتحديد التطرف في حالتنا المحددة بما يلي:

اعتبار معاني الغلو الديني بالمعنى الديني الإسلامي، وفق ما هو متفق عليه بين المرجعيات الدينية المستقلة، ولأن الحديث في الواقع السوري، وحتى لا يتشعب بنا البحث، سنعتمد على المجلس الإسلامي السوري كونه يمثل مرجعية جامعة في الحالة السورية.

الوثائق التوافقية لقوى الثورة والمعارضة السورية، ويشمل ذلك المبادئ الدستورية التي لا خلاف عليها عموماً بين السوريين، كوحدة الأراضي السورية واستقلالية سورية، وكمبدأ المواطنة وحقوقها المتساوية أمام القانون¹¹.

ما هو متفق عليه عموماً بين السوريين ومرجعياتهم الدينية من القوانين والتشريعات الدولية، ومواثيق الهيئات والمؤسسات التي انضمت ووقعت عليها الدولة السورية قبل تغول نظام البعث عليها، كجامعة الدول العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي (المؤتمر الإسلامي سابقاً)، والأمم المتحدة.

ثالثاً: معايير قياس التطرف لتمييز جماعات المعارضة المعتدلة عن المتطرفة:

ينتشر بين بعض الدوائر الأمنية القريبة من بعض الساسة من صناع القرار بعض التعميمات غير الدقيقة، والتي يعتبرونها معايير للحكم على تطرف الفصائل، كاستخدام التعابير الإسلامية، أو التكبيرات في المعارك، أو استخدام اللثام في حالات معينة، وإطلاق اللحي، واستخدام الكنى (خاصة الإسلامية منها)، واستخدام أسماء تاريخية إسلامية للألوية والكتائب، إلى آخر ذلك مما يمكن اعتباره معايير مضللة وغير دقيقة¹² في تحديد الجماعات المتطرفة.

وهنا لا بد من التأكيد على أن التطرف أمر نسبي، يمكن أن يزداد وينقص تبعاً لدرجة وجود الخاصية المنسوبة للتطرف فيه، وباعتبار أن مصطلح الغلو ديني واضح نسبياً مقارنة بسيولة مصطلح التطرف، يمكن إجمال معايير التطرف المبحوثة في حالتنا في مجموعتين رئيسيتين، معايير الغلو الديني (والتي غالباً ما تؤدي إلى التطرف العنيف أو العمليات الإرهابية أو تقبلهما)، ومعايير للتطرف السياسي، والتي تقيس مدى بعد المواقف السياسية عن الوسطية النسبية المعتبرة لقوى الثورة

¹⁰ والمقصود بهم مختلف من يُقّم أو يتم تقييمه أو يهتم بالمعايير المذكورة وتطبيقاتها، كصناع القرار على تنوعهم، إضافة إلى مختلف الكيانات الوطنية السورية الفاعلة، والتي قد تستخدم تلك المعايير لتقييم جماعات المعارضة المختلفة، أو التي يتم تقييمها بناء على تلك المعايير.

¹¹ الجدير بالذكر بأن هذا المبدأ مثلاً أكد عليه أيضاً المجلس الإسلامي السوري.

¹² رويت عدة ملاحظات تُؤشر على ذلك، أحد ممثلي فصائل الجيش الحر في دير الزور، تم سؤاله من قبل خبراء أو صحفيين أجانب عن مدى اختلافهم عن تنظيم "داعش" بعد مشاهدتهم لمقاطع فيديو لمقاتلي الفصيل مطلقين للحاهم، ومرددين لعبارات التكبير أثناء القتال.

والمعارضة وعموم السوريين، وقياساً إلى ما هو شائع وسائغ سياسياً على المستويات المحلية والاقليمية والدولية¹³، مع محاولة تحليل دوافع التطرف في المواقف السياسية، وفيما إذا ما كان مرتبطاً بالغلو الديني من الناحية الفكرية، أو أنه بسبب مراعاة جماعات الغلو لأهداف سياسية أو فصائلية براغماتية مصلحية دون أن يكون بالضرورة مرتبطاً بالغلو الديني فكرياً أو مبنياً على قناعة عقدية.

بناء على ذلك، سوف يتم وضع تثقيل أو درجة لكل معيار، بحيث يأخذ الفصل درجة معينة بناء على رؤيته المتبناة أو تصريحات قاداته أو ممارساته، ليكون مجموع الدرجات من مئة درجة، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن هذا النموذج في التثقيل استرشادي وأولي قابل للتطوير أو للتغيير بحسب تغير السياق المتقلب بشكل كبير¹⁴.

من الطبيعي أن يكون أغلب الغلاة -المتطرفين عقدياً ودينياً - متطرفين سياسياً، وغالباً ما يكون تطرفهم عنيفاً ومرتبئاً بالأعمال الإرهابية، بينما لا ينطبق ذات الأمر على التطرف السياسي لدى فصائل المعارضة المسلحة السورية، والذي ارتبط برواسب الغلو الديني لدى بعضها، بينما ارتبط لدى أغلبها بقلة الوعي السياسي، وضعف فهم السياق الاقليمي والدولي لضعف الخبرة والتخصص، أو المبالغة في مراعاة المصالح الميدانية العسكرية على المدى القريب على حساب المصالح الاستراتيجية البعيدة المدى، أو بسبب دوافع أخرى.

معايير الغلو الديني:

وهي تقسم بدورها إلى معايير متعلقة بالفكر، وأخرى متعلقة بالممارسة.

أولاً: معايير الغلو المتعلقة بالفكر:

1) الغلو في التكفير:

ويحدده أهل الاختصاص من المتمكنين في العلم الشرعي في الهيئات والمرجعيات الشرعية الجامعة المستقلة، كحالة المجلس الإسلامي السوري والهيئات المنضوية تحته، ويدخل في هذا الباب تكفير المخالفين بمجرد الشبهات، والتكفير لكل من يدخل العملية السياسية، والمبالغة في مفاهيم الولاء والبراء، ورفع سوية الخلافات الصغيرة إلى مستوى الخلافات العقدية الكبيرة، بحيث يشمل التكفير مختلف حكام البلاد الإسلامية وأجهزتها العسكرية والأمنية والمسؤولين فيها، مع امتداد نسبي للتكفير – بحسب درجة الغلو – نحو المجتمعات والمرجعيات الشرعية، كتكفير جهة النصر للأركان والائتلاف السوريين التابعين

¹³ خلال الندوة أفاد متخصص في العلوم والسياسة الشرعية بأن الاستخفاف بالمعايير السياسية والدولية للتصنيف ليس مجرد خلل سياسي، بل هو خلل شرعي نهى عنه الشرع الإسلامي باعتبار عدم تجنب هذه العوامل يعرض الجماعات وحاضنتها الشعبية للاستهداف والضغوطات مما هو منهى عنه شرعاً، وإن لم توجد نصوص معينة دالة على بعض الأمور، إلا أنها تقدر من خلال فقه المصالح والمفاسد.

¹⁴ من المعتاد في البحوث أن تقدم المعايير وتشرح ويدلل عليها لتستقر أولاً، ثم يُقاس عليها لاحقاً، ولذلك يمكن اعتبارها مقترحاً قابلاً للتطوير.

للمعارضة¹⁵، و تكفيرهم الحكومة التركية¹⁶، فضلاً عن تكفير تنظيم "داعش" لمختلف الفصائل والقوى السياسية والعسكرية السورية والقيام بمقاتلتهم "قتال ردة"¹⁷.

وبشكل عام، يبدو الغلو في التكفير متلازماً مع انتشار الفكر المسعّب بـ "السلفية الجهادية"¹⁸ مع ضرورة الإشارة إلى شدة التحفظ على نسبته للسلفية عند شرائح سلفية واسعة.

ولعل من المهم الإشارة إلى عظم الاختلاف الفكري وسرعة تطوره داخل هذا التيار نفسه¹⁹، فهو من أكثر التيارات هشاشة وقابلية للانقسام والتفرع، الأمر الذي ظهر جلياً في تسارع الأحداث في سورية والعراق بعد ولادة تنظيم "داعش" ثم إعلانهم للخلافة، وانفصال تنظيم جبهة النصرة عنهم، وتباين جماعات الغلو في مستويات التكفير أو مستوى التصريح به، فيصريح تنظيم "داعش" بتكفير كل من خالفه، بما في ذلك تنظيم جبهة النصرة الذي انشق عنه، ويتقارب مع التنظيم في مستويات التكفير تنظيم جند الأقصى مثلاً، ولكنه أقل تصريحاً به (يتداخل تنظيم جند الأقصى²⁰ مع تنظيم الدولة بشكل كبير)، بينما تتفاوت جبهة النصرة وقادتها في الغلو في التكفير ومدى التصريح به تبعاً لآراء قادتها، وتبعاً لمصالحها وتموضعها في الساحة، حيث غيرت اسمها تبعاً لتموضعها إلى جبهة فتح الشام، ثم إلى هيئة تحرير الشام²¹.

وينتج عملياً عن خصلة الغلو في التكفير غالباً استحلال دماء المخالفين، والقيام بالاعتداءات على مختلف الفصائل الأخرى، ويتم تعليل ذلك أيضاً وفق قاعدة شرعية يقومون بتحريف معانيها، وهي أن "قتال المرتدين مقدم على قتال الكفار الأصليين"²².

وتقترح الورقة أن يعدّ هذا البند من أهم المعايير المعتبرة لخطورته وحساسيته، ليأخذ بالتالي الدرجة من 20 من مئة درجة في المقياس العام، المشار إليه آنفاً والموضح تفصيله لاحقاً.

¹⁵ قال الجولاني زعيم جبهة النصرة في كلمته "لينك رثيتي" التي رثى فيها "أبو خالد السوري"، موجهاً كلامه لتنظيم الدولة "نحن لا ننكر ان هناك جماعات ممن تقاتلكم قد وقعت في ردة وكفر كحال الاركان والانتلاف ومن يقوم على مشروع الجيش الوطني الذي يسعى من خلاله لتثبيت حكومة علمانية والقضاء على مشروع اسلامي راشد"، أنظر "أبو محمد الجولاني يرثي أبو خالد السوري ويكفر الانتلاف وهيئة الأركان، ويمهل "داعش" خمسة أيام لتوقف تجاوزاتها وتحتكم إلى الشرع"، عكس السير.

¹⁶ أنظر تقرير "هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سورية"، منظمة أزمات الدولية.

¹⁷ وهو أمر معروف مشهور من خلال التعبئة الإعلامية والفكرية التي كانت "داعش" تقوم بها في معاركها مع مختلف الفصائل، ويمكن الاطلاع على بيان واضح صادر عن الهيئة الشرعية للتنظيم يبين "ردة" قادة الجبهة الإسلامية بالتعيين، يمكن قراءة البيان هنا:

<https://www.slideshare.net/greenbird7072/ss-38894201>

وهو بيان طويل، يمكن الاطلاع على آخر صفحاته في الملحق أيضاً، والتي يصرحون فيها بكفر أعيان قادة الجبهة الإسلامية، وأن أتباعهم لهم نفس الحكم.

¹⁸ ينظر فقرة "ميررات العنف عند الغلاة"، وفيها الحديث عن الغلو في التكفير لدى عموم التيار، تصور الغلاة لمفهوم الدولة في الإسلام: عرض ونقد، عماد الدين خيتي، موقع البيان.

¹⁹ رأى باحث مختص شرعي راجع الورقة بأن هذا في حد ذاته يمكن ان يكون معياراً لأنه أحد ميزات الغلاة، إلى جانب ميزات أخرى تتبع كلها من الغلو في الجانب العقدي، كاحتكار الحق ومشروعه، ومحاولة فرضه على الآخرين بالقوة.

²⁰ وهو التنظيم الذي نشأ على إثر اندلاع الخلاف بين البغدادي والجولاني وانقسام تنظيميها إلى تنظيم "داعش" وتنظيم جبهة النصرة، حيث اعتزل مقاتلون الطرفين معتبرين القتال بينهما "قتال فتنة"، وأسسوا تنظيم "جند الأقصى"، أنظر "تنظيم جند الأقصى.. القصة الكاملة"، موقع على بصيرة.

²¹ يمكن الاطلاع بشكل مفصل على تقلبات وتحولات خطاب النصرة في دراسة مركز عمران، الباحث أحمد أبا زيد، "تحولات خطاب تنظيم القاعدة في سورية"، مركز عمران للدراسات.

²² كعادة الغلاة، يقتطعون حادثة معينة أو قاعدة شرعية ما من سياقها ليستفيدوا منها في بناء منظومة تفسيرهم الخاص للنصوص وإسقاطها على الواقع.

(2) عدم اعتبار المرجعيات الشرعية من غير مرجعياتهم الخاصة:

حيث تعتبر فصائل الغلو المرجعيات الشرعية المتعارف عليها مجرد علماء سلاطين وعلماء سوء لا اعتبار لأرائهم مسقطه إياهم، فضلاً عن وجود بعض جماعات الغلو التي تخرجهم من الدين الإسلامي أصلاً²³، الأمر الذي أوجد تأثيراً واضحاً لمنظري "السلفية الجهادية" في الساحة السورية، ممن تعتبرهم تلك الفصائل من العلماء العاملين، أو العلماء المستقلين (من وجهة نظرهم)، حيث تشيد تلك الفصائل ببعض منظري تيار "السلفية الجهادية"²⁴ ممن يكتبون خاصة في موقع "منبر التوحيد والجهاد"²⁵، والمواقع المشابهة، ويقترح لهذا المعيار 8 درجات من مئة لأهميته أيضاً.

(3) عدم قبول مبادئ التدرج والمرحلية، والتوسع والغلو في نسخ آية السيف للصفح والتسامح:

حيث يرفضون الاستدلال بالتعامل الإسلامي والنبوي المتسامح مع المخالفين خلال فترات طويلة بحجة "نسخه بآية السيف"، ويرفضون بالتالي كل تسامح الدين الإسلامي، خاصة مع توسعهم وغلوهم في مسألة "آية السيف" على الرغم من الخلاف الوارد في تفسيرها عند أهل الاختصاص، خاصة بما يناقض فهمهم مما كتبه علماء الشريعة المعاصرون، ويقوم الغلاة بالتالي عملياً بإلغاء الاستفادة من جوانب هامة ومراحل زمنية واسعة من حياة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته بسبب هذه الذريعة²⁶، يقود ذلك إلى اعتبارهم القتال الطريقة الوحيدة للإصلاح غالباً²⁷، ويقترح له 4 درجات.

(4) رفض الواقعية القطرية والاصرار على الخطاب العالمي:

من خلال رفض واقع وجود الدولة السورية، وهو متعلق برفض التدرج والمرحلية والواقعية، ورفض ما توافقت عليه الأطياف السورية المختلفة إبان توافقها على تأسيسها للدولة السورية "الأبء المؤسسون"، ومن بينهم عدد كبير من علماء الدين وممثلي التيارات الإسلامية، والحديث عن السعي المباشر لإمارات إسلامية في الشام أو الخلافة، وتكفير أو تضليل كل من يتبنى الخطاب الوطني باعتباره متبنياً لنهج "سايكس بيكو"²⁸، ويقترح لهذا المعيار 4 درجات، ويمكن ملاحظة الاختلاف

²³ ينظر فقرة "تكفير وتخوين عامة علماء الأمة الإسلامية واستباحة دمانهم"، تصور الغلاة لمفهوم الدولة في الإسلام: عرض ونقد، د. عماد الدين ختي، موقع البيان، وكذلك فقرة "أهم أقوال زعماء تنظيم (الدولة) من خلال بياناتهم الرسمية"، كتاب "شبهات تنظيم الدولة وأنصاره والرد عليها"، د. عماد الدين ختي، موقع على بصيرة.

²⁴ كمثال على تدخل منظري السلفية الجهادية في الشؤون التفصيلية السياسية السورية، اعتبر المنظر الجهادي "إياد قنبيبي" تأسيس الائتلاف الوطني السوري خطوة باتجاه محاربة المشروع الإسلامي في سورية، وأحدث مقطعه المصور وقتها ضجة كبيرة، وردوداً وبيانات من علماء سوريين، أنظر: محاربة المشروع الإسلامي بسوريا - د. إياد قنبيبي.

²⁵ لاحقاً، حدثت خلافات حادة بين منظري التيار على إثر الانقسام الذي أدى إلى تشطي "دولة العراق والشام"، وجبهة النصرة لأهل الشام، حيث كتب الأثري أحد منظري "السلفية الجهادية" كتاباً بعنوان "مد الأيدي لبيعة البغدادي"، ليعارضه المقدسي وآخرون ويتطور الخلاف لاحقاً، ينظر "المقدسي يتحفظ على مبايعة البغدادي أميراً للمؤمنين"، الجزيرة نت.

²⁶ فصل عدد من العلماء المعاصرين في المسألة، كالدكتور يوسف القرضاوي والشيخ محمد سرور بن زين العابدين، أنظر "مفاهيم جهادية.. بحاجة لتصحيح الجدل حول آية السيف: وقائلوهم حتى لا تكون فتنة"، أرشيف إسلام أون لاين، وكتاب الاستطاعة لمحمد سرور بن زين العابدين، ويمكن الاطلاع أيضاً على ردود نشرها السلفيون الجهاديون بعنوان "مراحل تشريع الجهاد؛ نسخ اللاحق منه السابق"، منبر التوحيد والجهاد.

²⁷ ويفرطون في الاستدلال بالأحاديث التي ورد فيها ذكر "الطائفة المقاتلة المنصورة"، ويؤكدون على أنها "جماعة مقاتلة"، كالحديث النبوي "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أمر الله"، خاصة أن لهذا الحديث مرويات كثيرة، وفيها أنهم في الشام وبيت المقدس وما شابه، حيث يستثمر الغلاة تلك الأحاديث بشكل كبير، ويهزأ الغلاة في كثير من الأحيان من منهجيات التدرج أو السلمية وما شابه، ينظر كلمة الناطق باسم "داعش"، العدناني، السلمية دين من؟.

²⁸ وكان هذا واضحاً من إعلان "داعش" لدولتهم في العراق والشام، ثم الخلافة، وحرص جبهة النصرة والتنظيمات المشابهة على التسمية بالشام دون تحديد سورية، حتى الجبهة الإسلامية التي لمحت إلى بعد عالمي في ميثاقها تم انتقادها من قبل أحد منظري السلفية الجهادية "إياد قنبيبي" بأنها

النسبي ضمن المعيار الواحد، فمثلاً، التصريح برفض واقع الدولة السورية، و"الكفر بسايكس بيكو" وما نتج عنه بشكل مبدئي يأخذ الدرجة التامة "4" (كما هو حال تنظيم "داعش" والتنظيمات المشابهة)، بينما الإشارة المتزايدة إلى البعد الأممي مع الإشارة إلى البعد الوطني يمكن أن يأخذ الرقم 1 أو 2.

5) الغلو في قضايا الولاء والبراء:

وهو يتفرع عن الغلو في التكفير، والذي يصل إلى درجة الحرص المتواتر في أدبيات تلك الجماعات على إظهار العداوة أو حتى استعداد الدول والقوى العالمية والتحرش بها، واعتبار عدواتها صكَّ براءة وبرهاناً على صحة النهج، واتهام أي جماعة أخرى يمكن أن يكون لها علاقة بدول عربية أو أجنبية بـ "الردة والكفر لموالاتهم للكفار"²⁹، حيث تخلط تلك الجماعات بين عقائد الولاء والبراء (المتضخمة لديها)، وبين الممارسات السياسية، مما يوجب لديها استعداد مختلف الأعداء (في الظاهر) طلباً لصحة العقيدة³⁰، ويقترح لهذا المعيار 6 درجات.

6) تنزيل نصوص آخر الزمان على واقعهم ومقاسمهم:

حيث تكثر الجماعات المتطرفة من استخدام الأحاديث النبوية المتعلقة بآخر الزمان، وفي سورية تحديداً، أكثر مناصرو "داعش" من استخدامها، خاصة تلك المتعلقة بالشمال السوري وبلدة دابق، ولذلك كان لسيطرة التنظيم على البلدة الاستراتيجية أهمية خاصة بالنسبة لأنصاره، ثم كانت خيبة أمل كبرى لدى فقاداتها بسهولة على يد قوات المعارضة السورية مدعومة بالجيش التركي³¹، ويعتبر الهوس بنبوءات آخر الزمان سمة عامة للمتطرفين من مختلف الأديان، وقد كتب العديد من المحللين والباحثين عن آثار الايمان بالنبوءات التوراتية في الحرب على العراق وما بعدها، حيث تحاول مختلف جماعات الغلو المنتسبة للمسلمين السنة أو الشيعة، أو المسيحية واليهودية توظيف نبوءات آخر الزمان لأهدافها السياسية³²، ويقترح لهذا المعيار 4 درجات أيضاً.

"مشروع وطني"، حيث يعتبر هذا الإصرار من باب الغلو الديني كونه يتجاوز فقه الإمكان والاستطاعة، فضلاً عن تضليل وتسييق من يتبنى النهج الوطني، أنظر "القنبي" والبحث عن الوسط الصعب"، زمان الوصل.

²⁹ يقول العدناني الناطق الرسمي باسم تنظيم "داعش": "ولنسنرّن القتال، ولنقاتلن جيوش الأرض قاطبة، حتى يكون الدين منة بالمئة كله الله في جميع أرض الله، ولتجتمع علينا أمم الأرض قاطبة"، ينظر كتاب "شبهات تنظيم الدولة وأنصاره والرد عليها"، د. عماد الدين خيتي، موقع على بصيرة.

³⁰ قاتل تنظيم "داعش" فصيل عاصفة الشمال مبكراً بحجة اجتماع الفصيل مع السيناتور الأمريكي "جون ماكين"، ثم قاتلت جبهة النصره معظم فصائل جيش الحر (حوالي 35 فصيل) تحت نفس الحجة، وإن لم تظهرها، وسواء كان قادة الفصيلين يعتقدون بهذه الأفكار، أو يقتصرون على استخدامها لتعبئة عناصرهم للقتال، فالنتيجة واحدة، وشهد مراقبون للأحداث كحذيفة عبد الله عزام وغيره على تعبئة جبهة النصره لمقاتليها وفق اعتبار باقي الفصائل التي قاتلتها كمرتدين على الرغم من إنكار النصره لذلك، ينظر: "حقيقة جبهة النصره أو هيئة تحرير الشام"، موقع على بصيرة.

³¹ خلال الندوة أفاد عضو في المكتب السياسي لأحد الفصائل السورية بأن الغلاة يجعلون من أخبار آخر الزمان أحكاماً شرعية لازمة في زمانهم، ويسعون إلى تحقيقه.

³² ينظر على سبيل المثال في "أوهام الجهاديين: كيف التقت أحلام المحافظين الجدد و"داعش"؟"، وائل علي نصر الدين، و"آخر الزمان: نبوءات تقود الأحداث"، مريم تولتش، موقع إضاءات.

ثانياً: معايير الغلو المتعلقة بالممارسة:

من الطبيعي أن تنعكس عقائد الغلو سلوكاً يمارسه الغلاة، مع ذلك، يجب الانتباه إلى ضرورة النظر في تواتر الممارسة وكونها سياسة ممنهجة، وأنها أيضاً نابعة من قناعات الغلو³³، ورغم ذلك، يعتبر وجودها مؤشراً ذا دلالة على وجود الغلو دون أن يكون كافياً للحكم به (ومن هنا يأتي تقدير وضع الدرجات في المؤشر)، ولعل أهمها:

1) رفض الدخول في التحالفات على المستوى الوطني:

حيث ترفض فصائل الغلو الدخول مطلقاً في تحالفات سياسية مع الهيئات والمكونات الوطنية الأخرى لتحقيق الهدف المشترك العام³⁴، وقد تتفاوت في درجة رفض الدخول في تحالفات دون التحالفات السياسية، كالتحالفات العسكرية المؤقتة (غرف العمليات)، فترفض "داعش" مثلاً دخول أي تحالف، ولا تقبل وجوداً آخر أصلاً لأي مكون، بينما تقبل جبهة النصرة الدخول في تحالفات عسكرية محدودة (غرف العمليات) مع فصائل إسلامية أخرى دون القبول بالدخول في أي تحالفات سياسية تحت مظلة وطنية أشمل، وغالباً ما تسعى للهيمنة على التحالف والاستفادة منه بشكل يفوق باقي الشركاء، ويقترح لهذا المعيار 4 درجات أيضاً.

2) رفض مختلف المبادرات السياسية والاتفاقات الدولية مبدئياً:

بما فيها التي يمكن أن تكون محل إجماع أو شبه إجماع وطني³⁵، وتتفاوت فصائل الغلو في درجة الرفض والتعبير عنه، فبعضها يرفضها مع تكفير من يقبلها علناً وبشكل واضح، وبعضها يرفضها مع الطعن بمن يقبلها بشكل غير مباشر، وتتميز فصائل الغلو بالرفض المبدئي لهذه المبادرات انسجماً مع غلوها العقدي، ولا يشمل هذا بالتالي فصائل أخرى قد تجتهد وتتطرف سياسياً وترفض مثل تلك المبادرات تحت تأثير دوافع أخرى غير الغلو الفكري، كتقدير المصالح منها أو ما شابه، كالتحفظ على بعض بنود القانون الدولي الإنساني أو الاستهانة به وعدم احترامه، ويقترح له 5 درجات أيضاً، حيث تأخذ جماعات الغلو الدرجة الأعلى (5) باعتبارها ترفض كل تلك الاتفاقات بشكل مبدئي³⁶.

3) استخدام أعلام ورايات "إسلامية" خاصة، وتعتمد التمايز عن المجتمعات المحلية بالمظاهر والسمات:

حيث تتميز معظم جماعات الغلو برفض علم الاستقلال (الثورة السورية الجامع)، مع الإشارة إلى أنه راية استعمار أو راية عمية، مع الاكتفاء برايات فصائلية تحتوي كلمات وعبارات دينية، وتقوم جماعات أخرى بنفس الممارسة مراعاة لما شاع من جماعات الغلو دون أن يترافق ذلك مع دوافع فكرية، ويقترح له 4 درجات أيضاً.

³³ خلال الندوة أفاد مسؤول في المكتب السياسي لإحدى الجماعات السورية بأن أغلب ما وقعت فيه العديد من الفصائل السورية كان غلوياً أو تطرفاً في السلوك بسبب تأثيرات عديدة، دون أن يكون هناك غلو في التصورات، وهو ما وافقه فيه مسؤول في مكتب سياسي لفصيل آخر.

³⁴ اعتبرناه من الغلو الديني لأنه في الحالة السورية رفض مبدئي مبني على التصور العقدي المرتبط بالغلو، والذي يغلو في قضايا الولاء والبراء، ولأنه كذلك يقتصر من الناحية العملية على جماعات الغلو الديني عند التمحيص في الواقع السوري.

³⁵ تم اعتباره من الغلو الديني لأسباب مماثلة للمعيار السابق.

³⁶ خلال الندوة أشار باحث متخصص في القانون الدولي إلى استهانة بعض جماعات المعارضة السورية الأقرب للاعتدال ببعض قواعد القانون الدولي الإنساني، على الرغم من قبول تلك الجماعات إفاد كوادرها للتدريب على ممارسات احترام القانون الدولي الإنساني.

4) كثرة انخراط الجنسيات الأجنبية "المهاجرين" وتوليها المسؤوليات في التنظيمات:

تبعاً لرفض الواقعية القطرية والإصرار على الخطاب العالمي، ورفض الحدود والدول الوطنية، واعتبارهم أن المهاجرين بذلوا جهوداً كبيرة وتركوا بلادهم لأجل "الجهاد وإعلاء كلمة الله"، يرافق ذلك غالباً استخدام الكنى مع اللقب باسم "المهاجر" أو باسم موطنه الأصلي، ويقترح له 6 درجات.

5) الانخراط في عمليات إرهاب الفصائل الأخرى وقتالها وعمليات الاغتيال:

وهي ممارسات ناتجة عن الغلو في تكفير المخالفين أو الافتاء بقتل المصلحة³⁷، وهي من مظاهر الغلو الديني، وكثير من أدبيات جماعات الغلو تحضّ على قتال الفصائل الأخرى (وربما الأكثر قرباً منها) بحجة أنّ قتال المرتدين مقدم على قتال الكفار الأصليين، وذلك بعد اعتبار باقي المنافسين من الفصائل والكيانات الأخرى بمنزلة المرتدين، ويقترح له 6 درجات أيضاً.

6) المسارعة إلى إعلان الدول والإمارات على الناس وقتال المخالفين وادعاء تطبيق الشريعة:

كما فعلت "داعش" بإعلانها دولة العراق الإسلامية في العراق، ثم تحولها إلى الدولة الإسلامية في العراق والشام، ثم إعلانها الخلافة، وما مارسته فصائل أخرى من ممارسات جبرية تحت ذرائع تطبيق الشريعة على السكان المحليين بدرجات متفاوتة، ويقترح له 4 درجات أيضاً.

7) المبالغة في تنفيذ العمليات "الانتحارية" والتوسع في قاعدة "التتريس":

رغم وجود أصل لقاعدة التتريس في الفقه الإسلامي، إلا أنها جاءت في سياقات محددة وعلى نطاق ضيق، لكن فصائل الغلو تتمسك بكل ما من شأنه أن يعطيها حرية في تحقيق أهدافها ولو أدى ذلك إلى قتل الأبرياء من المدنيين³⁸، ولذلك، كثيراً ما تنفذ فصائل الغلو تفجيرات الانتحارية – والتي تسميها استشهادية³⁹ – في الأماكن العامة والأسواق⁴⁰، ويقترح له 5 درجات.

³⁷ تكفر فصائل الغلو أغلب الفصائل من مخالفهم، فيستبيحون قتلهم، وحتى تلك التي لا يشملها حكم الردة، فيمكن استهدافهم بالقتل تحت ذريعة "قتل المصلحة"، ينظر: " حذيفة عزام يتهم الجولاني بالقتل والكذب ويدعوه للمباهلة"، عربي 21.

³⁸ ينظر فقرة " قتل المسلمين بحجة التتريس"، تصور الغلاة لمفهوم الدولة في الإسلام: عرض ونقد، عماد الدين خيتي، موقع البيان.

³⁹ خلال الندوة انتقد عضو في مكتب سياسي لأحد الفصائل السورية، ومدير تنفيذي لأحد مراكز الأبحاث السياسية وضع مثل هذا المعيار لوجود خلال سياسي وفقهي حوله، لجيب كاتب الورقة بأنه يتحدث عن الحالة السورية المحددة، والتي يتضح فيها بالفعل الارتباط بين الغلو وبين كثرة استخدام الجماعات للعنصر البشري في العمليات "الاستشهادية/الانتحارية" من وجهة نظره، حيث أنه وعلى الرغم من الخلاف الفقهي على شرعية العمليات "الانتحارية" أو الاستشهادية، فإن المعيار هنا يتجاوز لأنه يتحدث عن المبالغة في هذه العمليات واتخاذها منهجية عامة حتى عند عدم الحاجة الواضحة لها، ودون اعتبار للشروط التي وضعها من العلماء من أجازها.

⁴⁰ كانت التفجيرات التي استهدفت مبنى أمنياً في حي القصاع المسيحي في دمشق من أوائل التفجيرات التي تبنتها جبهة النصرة في العام 2012، وذهب ضحية التفجيرات عدد من المواطنين الأبرياء، وقد أخبرت جبهة النصرة المسيحيين دون اعتذار أنهم ليسوا هم المستهدفين، وحذرت السوريين بأن عليهم تجنب السكن إلى جانب الفروع الأمنية وأوكار النظام، ينظر: هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سورية، منظمة إزمات الدولية.

معايير التطرف السياسي:

ونقصد بالتطرف السياسي في حالتنا هنا، تبني مواقف مخالفة للتوافق السياسي العام بين السوريين، دون أن يعني ذلك مطابقته للحق المفترض بالمعنى الديني، بل قد يكون مخالفاً للحق المفترض وفق المعاني الدينية⁴¹.

ولا شك بأن معايير التطرف السياسي متحققة عند مختلف الفصائل التي تتبنى الغلو، ولكن، قد تتطرف فصائل أخرى لا تتبنى الغلو الديني سياسياً من خلال تبني أفكار أو القيام بممارسات معينة لأسباب عديدة ذات أبعاد فكرية (التأثر الجزئي بفكر الغلو) أو براغماتية مصلحة، كالسعي للتقرب لبعض فصائل الغلو بهدف تعزيز التنسيق العسكري الميداني، أو بهدف تجنب استعدادها، أو بهدف تجنب تأثر الكوادر البشرية لتلك الفصائل بالبروباغندا الخاصة بفصائل الغلو⁴² التي تعتمد المزايدات العقائدية بهدف التأثير على عقليات الشباب الأكثر قبولاً للمقاربات الحدية (الخير المطلق مقابل الشر المطلق - الإسلام والكفر.. الخ)⁴³، ومن المفيد هنا بأن نذكر بأننا نضع معايير التطرف السياسي كأحد معايير التطرف لأننا نتحدث عن فصائل عسكرية، وليس عن أحزاب سياسية، وهي بالتالي لديها القدرة والقابلية لتعارض ما ترفضه سياسياً بالسلح، خاصة إذا ما لمحت إلى ذلك أو مارسته عملياً أو ما يشير إليه⁴⁴، ولعل أهمها:

1) عدم تبني مبدأ المواطنة:

بسبب عدم النضوج السياسي⁴⁵، أو التمسك بمفردات فقهية تعود لعصور ما قبل الدولة الحديثة مع اعتقاد وجوب الاعتماد عليها في العصر الحالي، أو بسبب التأثر الجزئي ببعض منظري فكر الغلو والتيارات "السلفية الجهادية"، اضطربت بعض الفصائل في إجاباتها على تصورهما للعلاقة بين المسلمين السوريين وغيرهم، فكانت إجاباتها مهمة أو عمومية دون الوضوح في تبني مفهوم المواطنة المتوافق عليه بين "الآباء المؤسسين" الأوائل للدولة السورية، والذين تنوعوا بين مختلف أطراف الشعب السوري، إسلاميين وغير إسلاميين⁴⁶، وقد يكون من أسباب الموقف الحذر لتلك الفصائل وغيرها في هذا

⁴¹ "ورغم مخالفته للحق بالمعنى الديني، فقد يعتبر حتى من الناحية الدينية الخيار الأفضل، من باب أن مفسدة التوافق العملي مع السواد الأعظم (في حال مخالفته للحق المفترض عند البعض) أقل سوءاً من مفسدة التفرق وذهاب الريح بسبب الاصرار العملي على الحق المفترض"، بحسب أحد الباحثين الشرعيين الذي حضروا الندوة التي ناقشت الورقة.

⁴² خلال الندوة أشار باحث ومتخصص شرعي وقاض إلى أنه شهد حالة تحول في راية أحد كبرى الفصائل السورية في العام 2013 من علم الثورة إلى راية أخرى "إسلامية" رغبة من قيادة الفصيل في منع انشقاق العناصر وتأثرهم بدعاية فصائل الغلو.

⁴³ تحرص تلك الجماعات على ترسيخ المقاربات الحدية، وتعتمد على بعض الأحاديث النبوية مقتطعة إياها من سياقها، كالحديث الذي يشير إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا كفر فيه، وفسطاط كفر لا إيمان فيه.

⁴⁴ خلال الندوة أشار باحث عربي مُطلع على السياقات العربية المشابهة إلى وجود أحزاب "راديكالية" في سويسرا وغيرها من الدول الأوروبية، وهو مما لا يعتبر بذات إشكاليات التطرف الدافع للعنف، فالمشكلة في التطرف عندما يدفع للعنف حتى في المقاومة المشروعة بحسب وصفه.

⁴⁵ رغم وجود دوافع دينية لتبني مواقف ضد مبدأ المواطنة، لكن تلك الدوافع الدينية لا تصنف ضمن الغلو الديني، كالدوافع التي دفعت لتبني الجماعات لما صنفها معايير للغلو الديني، حيث يبقى الخلاف في موضوع المواطنة خلافاً سائماً بين علماء الشريعة المعترين، ولكن الرأي المتحفظ عليه مرجوح من الناحية السياسية لتوافق السوريين عموماً عليه منذ تأسيس الدولة السورية.

⁴⁶ خلال الندوة أفاد متخصص شرعي وقاض بأن المجتمع السوري يفترض أنه تجاوز الحديث عن هذه القضايا منذ الخمسينيات بعد أن حسمت من قبل مختلف ممثلي الشعب السوري بمن فيهم أبناء التيارات الإسلامية المختلفة، من خلال إقرار المواطنة، فيما رأى باحث شرعي متخصص في جماعات الغلو باقتراحه مزيداً من التفصيل في المواطنة، فمن يرفض المواطنة بشكل مبدئي فذلك من علامات الغلو بشكل واضح، أما من يفصل فيها ويرى عدم مساواة المسلمين مع غيرهم في بعض الحقوق والواجبات فهو أمر فقهي لا زال مطروحاً للنقاش في الأوساط الفقهية، وعليه فجب أن ترد للبحث الشرعي أيضاً.

المفهوم توجساً من غلو فكري في الأطراف الأخرى، كالاعتداء على مسلمات الدين الإسلامي باسم المواطنة، أو ما يعتبرونه مغازلة للأقليات بامتيازات خاصة تفوق حقوقهم كمواطنين، ويقترح له 6 درجات.

(2) الموقف من الأقليات:

من الطبيعي أن ينعكس الخطاب العالمي وعدم الاعتراف بالواقع الوطني على النظرة للأقليات عند جماعات الغلو، فيصح بعضها بالتعامل مع أهل الكتاب منهم وفق أحكام الجزية وما يلحقها⁴⁷، أو أحكام القتل والقتال للأقليات الأخرى (كالطائفة العلوية)، فيما تضطرب جماعات أخرى فلا تظهر موقفاً واضحاً لذات الأسباب السابقة التي تجعلها تضطرب في تبنيها مفهوم المواطنة⁴⁸، ويقترح له 4 درجات.

(3) عدم اعتبار أي أهمية للتوافق والإجماع الوطني:

وهو أمر بدهي لدى الفصائل التي تنتهج الغلو في التكفير (الغلو الديني)، بل على العكس من ذلك، كثيراً ما تحرص على التمايز عن الجماعات الإسلامية والوطنية الأخرى والبراءة منها، وهناك فصائل أخرى قد تكون أقل غلواً في التكفير، ولكنها تبتعد عن حالة التوافق والإجماع الوطني العام تحت تأثير دوافع مختلفة، كالبحث عن تموضع "وسطي" متوهم بين "الغلاة" و"المفرطين" وفق اعتباراتهم الخاصة للتطرف والوسطية، أو مجاملة لبعض فصائل الغلو والتطرف أو مراعاة للتوافق معهم لتحقيق أهداف تنسيقية عسكرية ميدانية أو إدارية، ويقترح له 3 درجات.

(4) العمل والتنسيق مع فصائل الغلو ومشاركتهم:

وأدناه التنسيق العسكري في غرف عمليات مشتركة ضد النظام السوري، كحالة التنسيق مع جبهة النصرة من مختلف الفصائل، وهو أيضاً درجات متفاوتة، فقد يكون تنسيق ضرورة في حده الأدنى (سابقاً في درعا)، وقد يتخذ طابعاً إدارياً أكثر ارتباطاً، كغرفة عمليات جيش الفتح، حيث انبثقت عن الغرفة العسكرية هيئات مدنية حكمت المناطق باسم جيش الفتح والفصائل المنضوية تحته، والتي تدخل ضمنها جبهة النصرة، ولاحقاً، ظهرت إشكاليات كثيرة بين الفصائل الداخلة في غرفة عمليات جيش الفتح بسبب عدم التجانس الفكري، والخلاف على المصالح، مما أدى لانهيار هذا التحالف في نهاية المطاف. وقد يؤخذ بعين الاعتبار بأن جبهة النصرة قد فرضت نفسها عسكرياً على مختلف الفصائل في الكثير من الجبهات، وخاصة في الشمال السوري، ومن الطبيعي ألا ينظر صانع القرار إلى أي فصائل ينسق مع فصائل الغلو بعين الاطمئنان، مع ذلك، من المهم تمييز حالة الفصائل بحسب السياق، لاضطرارها للتنسيق العسكري في كثير من الأحيان مع جبهة النصرة في الحدود

⁴⁷ وقد علق باحث شرعي على هذا المعنى بقوله "إذا كانت جماعات الغلو قد كفرت المسلمين واستباححت دماءهم وأموالهم، وأعملت فيهم قتلاً وتشريداً بالشبهات والأهواء، فإن استهدافهم لغير المسلمين هو استمرار لهذه السياسة ونتاج لها؛ لذا فإنهم أسقطوا أمانهم وفق اعتبارهم أن صاحب الأمان الأصلي قد ارتد (ويعنون به الدول والحكومات الإسلامية)، ومن ثم رتبوا عليها استباحة الدماء والأموال، وخرجوا عن طريقة أهل العلم في التعامل معهم، فالجزية ليست هي المشكلة بل في طريقة فرضها وظروف فرضها ومن يقوم بذلك".

⁴⁸ خلال الندوة أفادت باحثة مختصة بالعلوم الشرعية بضرورة عدم المبالغة في مقارنة القضايا المتعلقة بالدستور والمواطنة وفق المتطلبات الغربية، بل يجب أن تؤخذ المتطلبات الوطنية بعين الاعتبار أساساً.

الدنيا، لوجود أولوية القتال مع النظام لديها، وتجنب الصدام مع فصائل الغلو لشدة دمويتها في القتال وشدة تداخل الصراع بالعوامل المحلية والقبلية، وقابليته للتحويل إلى بؤر مجتمعية منفجرة وحالات اقتتال داخلي مناطقي وقبلي.

ومن مظاهر التعاون والتنسيق مع فصائل الغلو، التوقيع معها على بيانات سياسية، وهو أعلى مرتبة في إعطاء تلك الفصائل بعض الشرعية من مجرد التنسيق العسكري⁴⁹ وكان لبعض تلك الحالات دوافع سياقية معينة لبعض الفصائل، أبرزها شعورها بالإقصاء من المعارضة السياسية، أو ضعف وعيها وجهلها بطبيعة فصائل الغلو (خاصة في الفترات الأولى) وعواقب التنسيق معها⁵⁰، وأعلى التنسيق ما كان تحالفاً مع الغلاة بدافع المناصرة المنهجية، وكان هذا واضحاً من تعاطف ومناصرة فصائل جند الأقصى مثلاً لتنظيم "داعش"، وهذا ما يحث عليه بعض منظري الغلو لمختلف جماعاتهم، من وجوب نصره بعضهم لبعض⁵¹، ويقترح له 7 درجات.

⁴⁹ وهنا يجب التنويه لضرورة فهم السياق والزمن، ففي بداية الثورة السورية، لم تظهر جبهة النصره حقيقتها، وهو ما أشار له عضو في المكتب السياسي لأحد الفصائل السورية خلال الندوة حيث أفاد بأنه في البدايات، تم امتداح النصره من شخصيات عديدة في المعارضة السياسية السورية بما فيها بعض الأطراف العلمانية السورية، كالاستاذ ميشيل كيلو.

⁵⁰ لعل أبرز الأمثلة على ذلك، توقيع البيان رقم واحد، والذي وقعت عليه العديد من الفصائل من بينها فصائل الجيش الحر إلى جانب جبهة النصره، ومضمونه عدم الاعتراف بالحكومة المؤقتة والائتلاف الوطني.

⁵¹ حذر أبو قتادة الفلسطيني وغيره مختلف فصائل الغلو من التحالف مع الجيش الحر، مشيراً لهم بأن من يقاتل إخوانكم الآن، سوف يقاتلكم لاحقاً،

20	الغلو في التكفير	متعلقة بالفكر	معايير الغلو الديني	معايير التطرف
8	عدم اعتبار المرجعيات الشرعية من غير مرجعياتهم الخاصة			
4	عدم قبول مبادئ التدرج والتوسع والغلو في نسخ آية السيف للصفح			
4	رفض الواقعية القطرية والاصرار على الخطاب العالمي			
6	الغلو في قضايا الولاء والبراء			
4	تزييل نصوص آخر الزمان على واقعهم ومقاسهم			
4	رفض الدخول في التحالفات على المستوى الوطني	متعلقة بالممارسة		
5	رفض مختلف المبادرات السياسية والاتفاقات الدولية مبدئياً			
4	استخدام أعلام ورايات "إسلامية" خاصة			
6	كثرة انخراط الجنسيات الأجنبية "المهاجرين" وتولمها المسؤولين في التنظيمات			
6	الانخراط في عمليات إرهاب الفصائل الأخرى وقتالها وعمليات الاغتيال			
4	المسارعة إلى إعلان الدول والإمارات على الناس وقاتل المخالفين وادعاء تطبيق الشريعة			
5	تنفيذ العمليات الانتحارية والتوسع في قاعدة "التترس"	معايير التطرف السياسي		
6	عدم تبني مبدأ المواطنة			
4	الموقف من الأقليات			
7	العمل والتنسيق مع فصائل الغلو ومشاركتهم			
3	عدم اعتبار أي أهمية للتوافق والإجماع الوطني			
المجموع				
التصنيف:				
100 - 80		عالي التطرف (متطرف جداً)		
80 - 50		متطرف		
50 - 35		متوسط التطرف		
35 - 10		قليل التطرف		
10 وما دون		معتدل أو قريب من الاعتدال		

رابعاً: التحول النسبي نحو الاعتدال (دراسة حالة):

تعد "حركة أحرار الشام الإسلامية" الفصيل الأبرز الذي كانت قياداته متأثرة بتيار "السلفية الجهادية" بدرجة ما، ليتحول تدريجياً إلى فصيل محلي أكثر براغماتية واعتدالاً، رافق ذلك التحول الذي استغرق السنوات السابقة اضطرابات وصراعات داخلية بين أجنحة داخل الحركة.

فمع بداية تأسيس "كتائب أحرار الشام" (تحولت لاحقاً إلى "حركة أحرار الشام")، كان واضحاً تمايزها عن كتائب الجيش الحر، ورفعها لراياتها الخاصة على المقرات، كما تعثرت محاولة دخولها مع فصائل أخرى تشابهها الانتماء المنهجي إلى "جبهة تحرير سورية الإسلامية" لأسباب عديدة، كان بينها الخلافات المنهجية، حيث برز بشكل واضح تلك الفصائل بأفكار "السلفية الجهادية"، واشترطتها تعديلات كثيرة في ميثاق التشكيل الجديد ومكوناته⁵².

لاحقاً، وعقب إعلان البغدادي لدولته، سكنت الحركة بداية عن الإعلان، ثم أصدرت بياناً متأخراً نسبياً، وكان بياناً يحمل لوماً خفيفاً للإعلان باعتباره اجتهاداً غير صائب⁵³، وحتى ذلك التوقيت، كانت الحركة تحافظ على انتمائها "السلفي الجهادي" مع بعد محلي، ويلحظ التأثير بمنظري التيارات "السلفية الجهادية" من خلال نقاشات قيادات الحركة معهم في فضاءات وسائل التواصل الاجتماعي، والسعي لإرضائهم باعتبارهم مؤثرين على شرائح عناصرهم، إلى درجة قبول تدخل المنظرين في قضايا إدارية متعلقة بالتوافق والتحالف مع فصائل أخرى⁵⁴.

وبعد إعلان البغدادي لدولته، وازدياد انتهاكات تنظيم الدولة المختلفة ضد عموم الفصائل، وضد الحركة نفسها بشكل خاص، إضافة إلى نصائح وضغوط اقليمية⁵⁵، أدت إلى حركة مراجعات فكرية مكثفة كان أبرز روادها أبو يزن الشامي، القيادي البارز في الحركة، والذي كان الأكثر جرأة في نقد الفكر السلفي الجهادي، حتى أنه "اعتذر لأهل الشام ومجاهديهم عن إدخالهم في معارك دونكوشوتية، والتمايز عنهم بسبب الانتماء إلى السلفية الجهادية"⁵⁶، كما وقّعت أحرار الشام على

⁵² شهدت الفترة التحضيرية لقيام "جبهة تحرير سورية الإسلامية" نقاشات طويلة حول قضايا فكرية وايديولوجية، كالدولة الإسلامية، ومعاني الكفر والايمان، وجواز الدخول في البرلمانات من عدمه، وتكفير القائلين بالديمقراطية (خاصة من حركة الفجر الأكثر تشدداً من كتائب الأحرار وقتها)، ثم كانت قضية مقتل قائد مجلس شوري المجاهدين "فراس العيسى" (والذي ظهر ارتباطه بدولة العراق لاحقاً) على يد ثائر وقاص القيادي في كتائب الفاروق قرب معبر باب الهوى (كما ورد الاتهام) كالشعرة التي قصمت ظهر البعير، حيث تبنت "كتائب أحرار الشام" والفصائل المتحالفة معها مطلب جبهة النصرة بتسليم الفاعلين، واشترطت خروج كتائب الفاروق من الجبهة لتوافق على الاستمرار بالمشروع على الرغم من الوساطات من شخصيات عديدة، إلا أن بقية الفصائل (لواء الإسلام - لواء التوحيد - صفوف الشام) مضوا في مشروع الجبهة مع كتائب الفاروق المنتمية للجيش الحر والمتأثرة بالسلفية العلمية الدعوية، والتي كانت من أكبر الكتائب ذلك الوقت - من مشاهدات ومقابلات الباحث الشخصية.

⁵³ يمكن المقارنة النسبية في اللهجة وسرعة الإصدار مع بيان جبهة تحرير سورية الإسلامية، التي أصدرت بياناً شديد اللهجة عقب إعلان البغدادي، يمكن الاطلاع على البيانين في الملحق.

⁵⁴ حيث دخلت حركة أحرار الشام في تحالف "الجبهة الإسلامية" مع فصائل أخرى، كجيش الإسلام و صفوف الشام، و كان قادة الفصيلين أعضاء في مجلس الثلاثين التابع للجيش الحر، وكان إياد القنبي المنظر السلفي الجهادي الأردني قد قال "لو كان الأمر إلينا لما ارتأينا تشكيل الجبهة إلا بعد أن تنسحب هذه القيادات من المجلس (التابع للجيش الحر)، أما وقد تشكلت، فإننا نطالب هذه القيادات التي نحسبها محبة لله صادقة في إرادة إقامة دينه أن تلتزم بما ألزمت به نفسها في الميثاق من عدم التبعية ولا تلقي الإملاءات الخارجية، ومن ذلك عدم استمرارها في عضوية مجلس يرأسه هذا الرجل المعنن التبعية للنظام الدولي (رئيس الأركان في ذلك الوقت سليم ادريس) ونسأل الله أن نرى انسحابهم من المجلس عاجلاً"، ليجيبه حسان عبود زعيم أحرار الشام حول الأمر "أما بالنسبة لعضوية بعض قيادات الجبهة للأركان فإن لنا في ذلك كلاماً لاحقاً بإذن الله. لكن إنصافاً أقول أنهم لم يتلقوا توجيهاً واحداً"، ليتم بعد ذلك انسحاب كل زهران علوش (قائد جيش الإسلام وأبو عيسى الشيخ (قائد صفوف الشام) من الأركان مع تعليل للانسحاب، والذين يبدو واضحاً منه وجود الأسباب الفكرية والمنهجية وما تناوله القنبي من انتقادات، وأتى هذا البيان بعد يومين فقط من كلمة القنبي، أنظر: "إعلان تأكيد انسحاب جيش الإسلام و صفوف الشام من تحت مظلة هيئة الأركان"، دعم ترشيد وتوجيه الثورة في وجه نظام العبث السوري، و "الحموي.. ميثاق الجبهة الإسلامية ليس دستوراً"، زمان الوصل، وكلمة القنبي: "بخصوص الجبهة الإسلامية"، د. إياد قنبي، القناة الرسمية.

⁵⁵ وخاصة قبيل إعلان ميثاق الشرف الثوري، حيث مررت كل من تركيا وقطر تحذيراً للحركة حول إمكانية التصنيف على لوائح الإرهاب.

⁵⁶ "اعتذار أبو يزن لأهل الشام ومجاهديها وتوجيهه رسالة للمقدسي والمحييني"، موسوعة أبو يزن الشامي.

"ميثاق الشرف الثوري"⁵⁷، والذي ركّز على "الاعتماد على العنصر السوري"، وحصر العمل العسكري ضمن الأرض السورية، دون إشارة إلى "المهاجرين"، مع التشديد على "إقامة دولة العدل الحرة" دون الإشارة إلى دولة إسلامية تكون السيادة فيها لشرع الله⁵⁸، إضافة إلى التزام الثورة السورية باحترام حقوق الانسان"، وقد أدى هذا البيان إلى رد فعل غاضب من قبل "جبهة النصرة" عبر بيان مضاد⁵⁹.

وبعد مقتل أبو يزن وحسان عبود ومن معهم من المؤسسين وقيادات الصف الأول، تراجعت جهود المراجعات، وغدت الحركة أسيرة للتوافق بين التيار الإصلاحي والتيار المتشدد⁶⁰، وبذل الجناح السياسي (المحسوب على التيار الإصلاحي) جهوداً في إعادة تموضع الحركة وطنياً من خلال البيانات والخطابات، والكتابة في الصحف الأجنبية، إلا أنه وجد مواجهة وصداً من قبل التيار المتشدد عبر المكتب الشرعي، وتأجج الخلاف بين التيارين في أعقاب مؤتمر الرياض الذي انسحبت منه الحركة بقرار من القيادة، ودون رضا لجناح السياسي، وكذلك عقب مشاركة الحركة في عملية "درع الفرات" بدعم من الجيش التركي، الأمر الذي أدّى إلى استقالة عدد من الشرعيين في الحركة⁶¹. ويمكن أن تخدم الأمثلة السابقة (تحديداً انسحاب الحركة من مؤتمر الرياض) كمثال على التطرف السياسي للحركة بانسحابها من المؤتمر رغم التوافق العام عليه بين مختلف قوى الثورة والمعارضة بمن فيهم الفصائل العسكرية للمرة الأولى، ويبدو أنه لم يأت بسبب الأبعاد الأيديولوجية، وإنما بسبب مراعاة الحركة للتيار المتشدد فيها، والذي كان يتخوف من صدام مع جبهة النصرة، ولديه بعض التقارب المنهجي معها، وعلى الرغم من مراعاة التيارات الإصلاحية في الحركة للتيارات المتشددة بهدف منع انشقاقها إلى درجة التضحية بالتوافق الوطني، انشقت العناصر المتشددة لاحقاً مشكلة ما أسمته "جيش الأحرار"، والذي انضم إلى جبهة النصرة لاحقاً تحت مسمى جديد "هيئة تحرير الشام"، لينشق عنها لاحقاً⁶².

ويمكن استنتاج أن مقتل قيادات الصف الأول (أكثر من خمسين شخصاً) للحركة في انفجار غامض قد أسهم في عدم اكتمال التحول المنشود نحو الاعتدال.

خامساً: ملامح تطرف لدى اتجاهات أخرى:

ظهرت ملامح المناكفات بين الاسلاميين والعلمانيين مبكراً بعد بداية الثورة السورية، وذلك في العام 2012، حيث أصدرت

⁵⁷ وقد قرأ "حسان عبود" الميثاق بنفسه إلى جانب أحد قيادات الجيش الحر (المقدم أبو بكر) في دلالة رمزية واضحة على التحولات الجديدة في منهج الحركة، أنظر: "بيان ميثاق شرف ثوري للكتائب المقاتلة المنتشرة في كافة أنحاء الوطن"، قناة الجزيرة.

⁵⁸ وكان ميثاق الجبهة الإسلامية الذي أصرت الحركة على تبني نقاطه قد أشار إلى "بناء دولة مستقلة تكون فيها السيادة لشرع الله الحنيف"، وأن "الجبهة الإسلامية لا تشارك في أي عملية سياسية لا تكون فيها السيادة للشرع"، كما احتوى الميثاق على مواقف من المهاجرين والديمقراطية والعلمانية والدولة المدنية، ووصف المهاجرين بانهم "هم إخوة ناصرونا في الجهاد، وجهادهم مقدر ومشكور، يفرض علينا الحفاظ على كرامتهم وجهادهم"، وهو ما يختلف جذرياً في الخطاب عن ميثاق الشرف الثوري، ليكون ميثاق الشرف الثوري أبرز تحول في خطاب "حركة أحرار الشام"، أنظر: "النص الكامل لميثاق الجبهة الإسلامية"، زمان الوصل.

⁵⁹ "النصرة تتحفظ على ميثاق الشرف الثوري.. لا نريد لإدولة تقوم على حاكمية الشريعة"، زمان الوصل.

⁶⁰ يرى الباحث أحمد أبو زيد بأن مراجعات القادة الراحلين أثر كبير في استباحة محرمات سياسية كبيرة لدى التيار الجهادي، وهذا صحيح نسبياً، لكن بقيت الحركة كما قلنا عملياً أسيرة لشرها الجهادي عموماً، وبقيت محاولاتها لتأطير الوطنية عرجاء، أنظر: أحمد أبو زيد، "أحرار الشام بعد عام طويل"، مركز عمران للدراسات، ص 20.

⁶¹ مقابلات واحتكاكات الباحث مع ناشطين، وأنظر: مازن عزي، "حروب الاندماج: الانقسام على صدع أحرار الشام"، معهد العالم للدراسات.

⁶² أنظر "آراء متباينة حول "جيش الأحرار" .. انشقاق أم اعتصام؟"، صحيفة عنب بلدي.

شخصيات تنتهي إلى المعارضة السورية "وثائق القاهرة"، والتي انتقدتها عدة مؤسسات وشخصيات تابعة للمعارضة، كرئيس الائتلاف الوطني السوري في ذلك معاذ الخطيب، معتبراً بأن وراءها مكرراً واجحافاً بحقوق الاكثرية المسلمة والاسلام الحنيف، كم اعتبرت هيئات أخرى مدنية⁶³ وعسكرية⁶⁴ بأن تلك الوثائق تفرض علمنة الدولة من خلال خلوها من أي إشارة للهوية الإسلامية⁶⁵.

كما ظهرت بعض الكتابات التي عممت الاتهامات بالتطرف، بل ودعشنت مختلف التيارات الاسلامية، بل لم يسلم من اتهاماتها بالدعشنة حتى شخصيات علمانية عربية سنية⁶⁶، كما ظهرت بعض الكتابات التي تبالغ في تحميل بعض الجماعات الاسلامية كامل المسؤولية عن المصائب التي حلت بالشعب السوري⁶⁷، ويمكن تفهم أن بعض تلك الكتابات قد تكون آتية في سياق ردود الأفعال على الغلو والتطرف الديني أو محاولة الاستفادة من الضغط الدولي على التيار الاسلامي فيما بعد "ثورات الربيع العربي"، مع ذلك، يجب محاصرتها و الحد منها تزامناً وبالتوازي مع جهود مواجهة الغلو والتطرف الإسلامي، باعتبار أنها تسهم في توليد المزيد من ردود الأفعال المتبادلة مما قد يؤدي إلى تغذية التطرف في مختلف الاتجاهات، وذلك على الرغم من إقرارنا بمحدوديتها في المستويات النخبوية.

⁶³ يرى المكتب السياسي لهيئة الشام الإسلامية أن وثيقة العهد الوطني قد أقرت بافتات على الإرادة الشعبية علمنة الدولة وتتحية الشريعة الإسلامية ويتضح ذلك من خلال الآتي:

1_ خلو أي نص من نصوص الوثائق المقدمة على الإشارة للهوية الإسلامية للدولة السورية، على الرغم من أن الغالبية العظمى من السوريين هم من المسلمين. ومن المفارقات أن دستور النظام الحالي ينص على المرجعية الإسلامية للدولة في مادته الثالثة.

2_ ضعف صلة الدولة السورية بالعالم الإسلامي إلا من خلال جذور تاريخية وقيم انسانية، مع التأكيد على انتمائها العربي والعالمي، والنصوص الدالة على ذلك كما يلي:

ففي الانتماء العربي قالت: (سورية هي جزء من الوطن العربي، ترتبط شعوبه بوشائج الثقافة والتاريخ والمصالح والأهداف الكبرى والمصير المشترك).

وفي الانتماء العالمي ذكرت: (سورية جزء من المنظومة العالمية وهي عضو مؤسس في هيئة الأمم المتحدة والمنظمات المتفرعة عنها).

وعندما جاء الحديث عن العالم الإسلامي كانت العبارة: (تربط الشعب السوري بجميع الشعوب الإسلامية الأخرى جذور تاريخية مشتركة وقيم إنسانية مبنية على الرسالات السماوية)، أنظر: الموقف (3) "وثيقة العهد الوطني"، هيئة الشام الإسلامية.

⁶⁴ انتقد المكتب السياسي لجبهة تحرير سورية (وهي تحالف لكبرى الفصائل السورية المسلحة) وثائق القاهرة، وأصدر في ذلك بياناً وضعته الجبهة على صفحتها وموقعها، ويبدو أنه لم يعد متوافراً في الوقت الحالي.

⁶⁵ خلال الندوة أفاد باحث شرعي وقاض بأنه ومع بداية الثورة السورية، بدأت بعض النخب العلمانية بطرح فكرها بطريقة "داعشية" من خلال التصريح ب "رفض حكم القرآن الذي نزل من 1400 سنة"، وأن ذلك أدى إلى ردود فعل لدى الحاضنة الشعبية المتدينة بطبيعتها.

⁶⁶ أنظر مقالة: "كي لا تكون" علمانية" سوريا كلمة حق يراد بها حرباً طويلة"، أورينت نت.

⁶⁷ أنظر مقالة: "دور الإخوان المسلمين في إفشال الثورة السورية"، السوري الجديد.



الجبهة الإسلامية السورية

حركة أحرار الشام الإسلامية

المكتب السياسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فقد فوجئنا كما فوجئ الكثير بما صدر عن أبي بكر البغدادي أمير دولة العراق الإسلامية من إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام ثم ماتلاه من رد لأبي محمد الجولاني المسؤول العام لجبهة النصرة المتضمن إعلان البيعة للدكتور أيمن الظواهري أمير تنظيم قاعدة الجهاد .

ونحن إذ نرقب باهتمام تداعيات الحدث لما له من أثر بالغ على الساحة الداخلية والإقليمية فإننا نسجل نقاطاً هامة تبين موقفنا تجاه ما صدر طارقين في ذلك باب النصح والتذكير :

- 1- إننا في حركة أحرار الشام الإسلامية نحرص على صب الجهود وتوحيدها في معركة دفع العدو الأجنبي الصائل إذ لا شيء بعد الإيمان أوجب منه ولا شيء يقدم عليه.
- 2- إن الله سنناً شرعية وقوانين كونية لإقامة الدول الراشدة من أجل بها حرم من عاقبتها كما أن الإمامة على المسلمين لا بد لها من قدرة وسلطان تحصل بمصالح الإمامة وهذا ما لا يتوفر في أي من الفصائل والكتائب العاملة على الأرض.
- 3- إن الإمارة وسيلة وضعت في الشرع لجمع الكلمة ووحدة الصف وليست مقصداً بعبئته وما جرى من إعلان البغدادي لم يجمع المتفرقين ولا أَلَّف بين المتنازعين وهذا ما يسمى فساد الوضع عند علماء الأصول وهو اقتضاء الوضع الذي رتب عليه الحكم نقيض ما عُلق عليه.
- 4- إن إعلان الدولة هذا لم يُشاور فيه أحد من أهل الحل والعقد في هذا البلد من علماء ربانيين وفصائل مخلصه عاملة على الأرض من الإسلاميين وكتائب الجيش الحر وهذا يفتح سبيل التفرد في إطلاق المشروعات المصرية في البلد كل بحسب ما يراه.
- 5- كذلك فإن كلا الإعلانين سيحجر إلى الميدان أطرافاً جديدة ولا يخدم - فيما نرى - ثورة شعبنا وجهاده ، والأصل عدم توسيع دائرة الصراع والتكيز على محاربة نظام الأسد وإيقاف عدوانه وتقويض أركانه .
- 6- نرى في كل من الإعلانين تقدماً لمصلحة الجماعة على مصلحة الأمة، وهو ما كان ينتظره النظام ليبر عدوانه وبغية على شعبنا الجريح. وإننا لما رأينا تفاني وبسالة جبهة النصرة في المعارك وإحسانها وحسن تعاملها مع الناس كان الظن فيهم استمرار الغيرة والإيثار وتقدم مصلحة الأمة.

وبناءً على ما سبق فإننا نتوجه لكل من الطرفين أن يستشعروا عظم الحدث وخطورة ألقمة الصراع بهذه الطريقة وإشراك أطراف أخرى وهذا ليس احتكاماً لحدود مضطربة بين أبناء الأمة ولكنه قراءة موضوعية لمعطيات الواقع وتقدم لما نراه مصلحة المسلمين وجهادهم ضد طاغية الشام.

أخيراً إننا في حركة أحرار الشام الإسلامية إذ نقرر ما سبق فإننا نعلن أن قيام دولة إسلامية راشدة تقيم العدل والقسط بين رعاياها هو هدف نسعى إليه بوسائل مشروعة وتراعي في ذلك مقتضيات الوضع وحالة الأمة المغيبة عن دينها في هذا البلد طيلة نصف قرن من الزمان. نسأل الله تعالى أن يلهمنا الرشاد و السداد في القول والعمل وأن يبرم لأمتنا أمراً يرضاه إنه ولي ذلك والقادر عليه و الحمد لله رب العالمين.

يوم السبت الواقع في 24/06/1434 الموافق 04/05/2013



بيان رقم 6/ح

تاريخ: 1 جمادى الثانية 1434
الموافق لـ 11 ابريل (نيسان) 2013

بيان حول إعلان دولة العراق والشام وردود الفعل عليه

تعلن جبهة تحرير سورية الإسلامية عن استغرابها واستهجانها للخطاب الذي نشر على مواقع التواصل الاجتماعي، وما ورد فيه من إعلان إقامة دولة العراق والشام، وكأن إعلان إنشاء الدول يكون عبر وسائل الاعلام، ومن مجاهيل لا يعرفون .
وليس عبر تحرير البلاد من نظام فاجر كافر دمر البلاد والعباد ..
كما نبدي استغرابنا، لهذا النهج الحزبي الضيق، لأناس يعيدون عن ساحات جهادنا، ولا يدركون واقعنا، ومصالح ثورتنا المباركة، فيقيمون علينا دولة ونظاما من دون استشارتنا وأميرا لم نؤمره، ولا نعرفه، ولم نسمع عنه إلا في وسائل الاعلام ..
ونحن في سورية عندما خرجنا وأعلننا جهادنا ضد النظام الطائفي خرجنا لإعلاء كلمة الله، وليس لأن نباع رجلا هنا أو رجلا هناك، ونفتنت على بقية إخواننا المجاهدين، وشعبنا المنكل به الصابر الصامد المحتسب، أو أن نفرض عليه شيئا فوق إرادته، أو نستبق النتائج قبل أوان حدوثها، وكأننا في مضمار خيل، أو محفل انتهاب!
يجب أن لا يكون من أهدافنا السعي الحثيث وراء السلطة، أو انتهاب المراكز والكراسي.
إنه لن يخدم شعبنا وأمتنا ميابعة من لا يعرفون شيئا عن واقعنا، بينما لا تزال معظم مدننا محتلة، وعصابة الإجرام قائمة تعيث في طول البلاد وعرضها فسادا، ودماء شعبنا تنزف!، فليس هذا هو الوقت المناسب لإعلان دول، أو توحيدها مع أخرى، دون ان تكون حقيقية مرهوبة معترفا بها على أرض الواقع ... وسبحان الله الذي قال: (خلق الإنسان من عجل)..
أيها المجاهدون الصادقون انصروا الله ينصركم، اصدقوه في فعالكم يصدقكم في وعده لكم، ولا يكن جهادكم للدنيا وسعيا وراء المناصب، ولا تتعجلوا المراحل، ولا تطلبوا من أمتكم ما لا طاقة لها به، ولناخذ العبرة من تجارب كثيرة في بلادنا الاسلامية، انتهت الى غير ما نحب بسبب التعجل، و قلة الحكمة والروية، أو بسبب النزاع المفضي إلى الفتشل كما قال تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ..
وإننا نرى فيما ذكر ما يكفي لبث النزاع والشقاق في صفوف المجاهدين في وقت عصيب، ومحاولة لدمج الصراعات في المنطقة، بما يخدم ما يريد المجرم بشار الاسد من محاولات اشعال المنطقة، والاستقواء علينا بالقوى العالمية بحجة الحرب على الإرهاب ..
أيها المجاهدون : إن جبهة تحرير سورية الإسلامية تدعوكم إلى كلمة سواء، أن تكون كلمتكم واحدة، وصفكم واحد ورايتكم واحدة، وهي راية إسلامية، تمثل ما عهد عن بلاد الشام في تاريخها الطويل الذي يشهد به علماءها، الذين أخرجتهم للأمة، وهم من رسم لها الوسطية والاعتدال منهجا سليما وطريقا قويا..
كما ندعوكم اليوم إلى ميثاق واحد يحفظ على البلاد أمنها وعلى المجاهدين جهادهم، ويحقق ما حلم به الشهداء، وقدموا أرواحهم زكية لأجله، ويحفظ الدم السوري، وينشر العدل بين جميع السوريين.
ولسنا بحاجة إلى مناهج مستوردة، أو فهم جديد لدين الأمة، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) .. ولا تزيد مزايده لأحد على أحد!
الله الله في دماء المسلمين المعصومة، الله الله في حرمة الاقتتال، الله الله في السوريين وفي بلادهم المباركة.
ألا هل بلغنا ... اللهم فاشهد ...

جبهة تحرير سورية الإسلامية

وقد نطق أبو عيسى كلامه في "تغريداته" مرة بوعي المراحل، ومرة بحمله على السياسة الشرعية.

ومن جهة أخرى، فإن أبا عيسى أنزل "تغريداته" بعد أن افتضح أمره بنشر تصريحاته الكفرية على حسابه في الشبكة، فلم تكن "تغريداته" إن زعم أنها توبة له، منزلة من تلقاء نفسه، وإنما أتى بها كرد على ما افتضح من كفره، وهذا شبيه بأفعال الزنادقة، فالزنديق هو الذي يعلن توبته بعد الاطلاع على كفره، قال العدوي في حاشيته: "الزنديق: أي الذي تاب بعد الاطلاع عليه" [٣١٤/٢].

أما قول أبي عيسى في "تغريداته": (أما ما نحن عليه فميثاقنا في الجبهة واضح بَيِّن)

فقد سبق أن تكلمنا عن حقيقة هذا الميثاق من الناحية الشرعية فلا متعلق له به^{٣٣}.

فإذا تقرر ردة أمراء ما يعرف بالجبهة الإسلامية؛ كأبي عيسى الشيخ رئيس مجلس الشورى، وزهران علوش القائد العسكري، وحسان عبود رئيس الهيئة السياسية، بما تقدم من مناطات كفرية كتولي المرتدين والكفار وتصحيح مذهبهم وغير ذلك. فليعلم أن كل من التحق بهؤلاء المرتدين بعد العلم بحالهم وقائل تحت رايتهم فحكمه حكمهم سواء بسواء، فلا خلاف بين أمة التوحيد في حكم من صار مع المرتدين وأعداء الدين، في أنه من جملتهم وحكمه حكمهم.

قال ابن تيمية رحمه الله في حكم من التحق من المسلمين بالنتار المظهرين لشعائر الإسلام: (وكل من قفز إليهم من أمراء العسكر وغير الأمراء فحكمه حكمهم، وفيهم من الردة عن شرائع الإسلام بقدر ما ارتد عنه من شرائع الإسلام) [الفتاوى: ٥٣٠/٢٨-٥٣١].

وقال رحمه الله: (وبهذا يتبين أن من كان معهم ممن كان مسلم الأصل هو شر من الترك الذين كانوا كفارا، فإن المسلم الأصلي إذا ارتد عن بعض شرائعه، كان أسوأ حالا ممن لم يدخل بعد في تلك الشرائع، مثل مانعي الزكاة وأمثالهم ممن قاتلهم الصديق، وإن كان المرتد عن بعض الشرائع متفقها أو متصوفا أو تاجرا أو كاتباً أو غير ذلك، فهؤلاء شر من الترك الذين لم يدخلوا في تلك الشرائع وأصروا على الإسلام، ولهذا يجد المسلمون من ضرر هؤلاء على الدين ما لا يجدونه من ضرر أولئك.) [الفتاوى: ٥٣٤/٢٨-٥٣٦].

فإذا تقرر هذا فليعلم أن حكم الردة لا يطرد عندنا في أفراد وأتباع ما يسمى بالجبهة الإسلامية، إلا بعد

٣٣ - راجع ما قلناه عن الميثاق سابقا، وسنفرده بدراسة مستقلة إن شاء الله تعالى.

علمهم بحال رايتهم المتمثلة في أمرائهم، فلا يحكم بردة أعيان هذه الطائفة إلا بعد علمهم بحال أمرائهم وردة هؤلاء الأتباع يكون من جهة اتباعهم المرتدين من أمراء ما يسمى بالجبهة الإسلامية؛ فالقاعدة أن التابع له حكم المتبوع، وهذه التبعية والمشاركة لهؤلاء الأمراء ردة عن دين الإسلام، فهم كالتائفة الواحدة في الأحكام الدنيوية وكذلك في الآخروية.

قال تعالى: {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَّرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} [سورة الأحزاب: الآية: ٦٧ - ٦٨].

وقال تعالى: {كَلَّمَا دَخَلْتَ أُمَّةً لَعَنْتَ أُمَّةً لَعَنْتَ أَخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعَا قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ ضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ} [سورة الأنعام: الآية: ٣٨].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: {قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأَوْلَاهُمْ} أي آخروهم دخولا وهم الأتباع لأولاهم وهم القادة. [الجامع لأحكام القرآن: ٧ / ٢٠٥].

وقال الإمام الماوردي رحمه الله: {قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأَوْلَاهُمْ} يعني الأتباع للقادة؛ لأنهم بالاتباع لهم متأخرون عنهم، وكذلك في دخول النار تقدم القادة على الأتباع.

{رَبَّنَا هَؤُلَاءِ ضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ} يريد بأحد الضعفين عذابهم على الكفر، وبالأخر عذابهم على الإغواء...

فأجابهم الله قال: {لِكُلِّ ضِعْفٍ} يعني أنه وإن كان للقادة ضعف العذاب، لأن أحدهما بالكفر، والأخر بالإغواء، فلكم أيها الأتباع ضعف العذاب، وهذا قول الجمهور [النكت والعيون: ٢ / ٢٢٢].

وختاماً فهذه كلمات نكتبها إلى كل طالب للحق متحرٍ له من جنود الجبهة الإسلامية الذين كان يخفى عليهم حال أمرائهم، فإلى هؤلاء نقول:

يشهدُ اللهُ تعالى أننا نرجو في كلامنا هذا أن نبذلُ لكم من النصيحة ما نعتقد أنها براءة لذنمتنا أمام بارئنا، ولأننا نحرصُ على أن نكون سبباً لهدايتهم عملاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلِّي رضيَّ اللهُ عنه حين قال له: {لَأَنَّ يَهْدِي بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَّكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ}٣٤.

٣٤ - رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ.

وإنّ من النصيحة لكم كشفُ أحوال القانمين على أمر هذه الجبهة من أمراء وقيادات؛ لتكونوا على بصيرة من أمركم وتقفوا على زيف دعواهم، فالفرق شاسع بين ما يدعونه من العمل على تحكيم شرع الله تعالى كما يزعمون، وبين ما يخفونه من الولاءات لطواغيت المنطقة الذين يسعون إلى إقامة دولة خاضعة لإملاءات الغرب، ولكن بثوبٍ إسلامي.

فاحذر يا عبد الله أن تكون جندياً لأمرأ مرتدّين عن دين الله تعالى، فيجعلوا منك وقوداً لمعارك تحقق مآرب الغرب الكافر وأذناهم.

وإنه يوشك أن تتجلي غمرات هذه الأحداث وتتكشف الحقائق، حتى نرى عياناً ما أخبرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه أنه قال: (حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ فُسْطَاطِ إِيْمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيْمَانَ فِيهِ)^{٣٥}.

وإنكم اليوم تقفون بين هذين الفسطاطين، فانظروا إلى أي الفسطاطين تتصرفون وفي زمرة من تحشرون؟

أما أنتم أيها الأمراء فإننا نذكركم الله تعالى، وندعوكم إلى إعلان توبتكم والبراءة من ردتكم الواضحة الفاضحة، ما دامت التوبة ممكنةً وبابها مفتوح.

فإن العبد إذا ألمّ بذنب فاعترف به ثم تاب، تاب الله عليه، كما جاء في صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه).

ووالله لرجوعكم إلى الحق بالتوبة والإقلاع عن الكفر، خيرٌ من تماديتكم في الباطل الذي لا يعقبه إلا سخط الله ثم خزي الدنيا والآخرة.

٣٥ - أخرجه أحمد ١٢٣/٢ وأبو داود برقم ٤٢٤٤ وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

الهيئة الشرعية

في

الدولة الإسلامية في العراق والشام

الأربعاء ١٦ / جمادى الآخرة / ١٤٣٥

سابعاً: قائمة بأهم المراجع:

- التطرف والإرهاب إشكاليات نظرية وتحديات عملية (مع إشارة خاصة إلى العراق)، د. عبد الحسين شعبان.
في ما يسمى التطرف، د. عزمي بشارة، سياسات عربية، دورية محكمة تعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية.
التطرف والتعصب الديني؛ أسبابه والعوامل المؤدية إليه، د. إسماعيل صدّيق عثمان، جامعة بنغازي.
الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق.
شبهات تنظيم الدولة وأنصاره والرد عليها، د. عماد الدين خيتي.
تصور الغلاة لمفهوم الدولة في الإسلام: عرض ونقد، د. عماد الدين خيتي، موقع البيان.
أحرار الشام بعد عام طويل، أحمد أبا زيد.
هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سورية، منظمة أزمات الدولية.

A Motivation Based Classification of Terrorism, Volume 5 Issue 2 - 2017 Department of Criminal Justice, Minot State University, USA *Corresponding author: Hasan Buker, Department of Criminal Justice, Minot State University, North Dakota, USA.

Local Community Resistance to Extremist Groups in Syria Lessons from Atarib, Research Paper Haid Haid Middle East and North Africa Program | June 2017.

Al-Azhar: beyond the politics of state patronage, RASHIED OMAR, University of Notre Dame.